Hespéris-Tamuda LX (2) (2025): 325-350

"*Laqwādsi*" and the Memory of Water: a Hydraulic and Architectural Heritage Serving the Construction of the Moroccan City

Laqwādsī wa dhākiratu al-mā': mawrūthun maī'īyyun w mi'māriyyun fī khidmati i'māri al-madīna

القوادسي وذاكرة الماء: موروث مائي ومعماري في خدمة إعمار المدينة المغربية

توفيق محمد لقبايبي

جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش

Abstract: The profession of the *Laqwādsī*, or "sheikh of fresh water," constitutes a fundamental pillar of hydraulic management in traditional Moroccan cities. As heirs to ancestral expertise passed down through generations, they have played a decisive role in safeguarding the continuity, regulation, and preservation of urban water networks. This article examines the technical, organizational, and institutional dimensions of this practice, revealing its deep-rooted presence within the urban fabric despite ongoing social and technological transformations. It further underlines the heritage value of this legacy, advocating its integration into public policies of conservation and sustainability, while reaffirming the symbolic significance of the *Laqwādsī* in Morocco's collective memory and cultural identity.

Keywords: *Laqwādsi*, Traditional Hydraulic Management, Moroccan Urban Heritage, Water Memory, Cultural Identity.

يشكل الماء عنصراً جوهرياً في حياة الإنسان وركيزة أساسية لاستمرارية العمران. وقد دفعت الحاجة إلى هذه المادّة الحيوية – في ظل تفاوت وفرتها حينا وندرتها أحيانا كثيرة – الإنسان إلى ابتكار تقنيات وأساليب متعدّدة لتدبيرها وتيسير سبل الوصول إليها. ومع تعاقب الأزمنة، تطوّرت هذه الوسائل من أدوات بدائية بسيطة إلى منظومات معقّدة ارتبطت بسياقات بيئية ومجالية مخصوصة، حيث أسهمت الظروف المناخية والطبوغرافية في تحديد أنماط التدبير وطرائق نقل المياه وتوزيعها. نتيجة لذلك، برزت حرف ومهن مائية متخصّصة اضطلعت بوظائف حيويّة داخل النسيج الحضري.

وفي هذا السياق، برزت حرفة القوادسي باعتبارها من أعرق المهن المرتبطة بتدبير الماء العذب في المدينة المغربية. فقد اضطلع القوادسي بدور محوري في تزويد المساجد والدور السكنية والحمّامات والسقّايات بالمياه، مساهماً بذلك في استدامة الحياة الحضرية، ودعم البنية التحتية، وتوسيع المجال العمراني عبر تشجيع الاستقرار وبناء أحياء جديدة. كما ساهم في تصريف الفائض المائي للحدّ من مخاطر الفيضانات والسيول، وفي سقي البساتين والحدائق، وهو ما انعكس إيجاباً على المناخ المحلّي وجودة الفضاءات الحضرية.

انطلاقاً من هذا المعطى، يسعى هذا المقال، بالاعتماد على كتب اللغة والفقه والمصادر التاريخية، إلى جانب الدراسات الحديثة، إلى الكشف عن خصوصيات حرفة القوادسي بالمغرب،

واستجلاء أدوارها داخل المدينة المغربية. وتتأسس إشكالية المقال حول الأسئلة التالية: من هو القوادسي؟ ما طبيعة مساره التاريخي؟ وما حدود إسهاماته في تعمير المدينة المغربية؟

1. الإطار المفاهيمي والتاريخي

ترد في المصادر الفقهية عدة مصطلحات تقنية[1] تدلّ على جلب المياه الصافية وتصريف تلك المضافة،[2] من بينها: قناة، ساقية، مجرى، سرب، مسيل، أنبوب، نقير، وقادوس. وتُعَدّ هذه التقنية الأخيرة الأكثر شيوعاً في المغرب الأقصى، إذ ارتبط عملها ارتباطاً وثيقاً بالقوادسي، الذي سيتمّ التعريف به انطلاقاً ممّا ورد عنه في المعاجم اللغوية، قصد توضيح ماهيّة الحرفة المرتبطة بتقنية القادوس. ولا شك أنّ هذه التقنية أدّت دوراً أساسياً في بروز مصطلح "القوادسي" كمحترف في صناعة القادوس وتركيبه. وهنا يطرح السؤال: كيف عرّفت المعاجم اللغوية "القادوس"؟[3] وهل أدرجت، في سياق تعريفها لمصدر اللفظة "قدس،" عبارة "القوادسي"؟

1.1. القادوس في اللغة

يعرّف ابن منظور مصدر "قدس" بقوله: "والقدس بالتحريك، السطل بلغة أهل الحجاز لأنّه يتطهّر فيه. قال: ومن هذا بيت المقدس أي البيت المطهّر والمكان الذي يُتطهّر فيه من الذنوب (...) والقادس والقداس: الحجر الذي يُنصب على مصبّ الماء في الحوض وغيره. والقدّاس: الحجر يُنصب في وسط الحوض إذا غمره رويت الإبل."[4]

أمّا الفيروز أبادي فيورد ضمن مصدر "قدس" ما يلي: "القُدُس بالضمّ وبضمّتين: الطُّهر، اسم ومصدر (...) والحجر يُنصب في مصبّ الماء في الحوض، وقد يُفتح مشدّدًا، أو حجر يُطرح في حوض الإبل يُقدّر عليه الماء ويقتسمونه بينهم."[5] وفي معجم اللغة العربية، نجد تعريف القادوس على النحو التالي: "وعاء خزفي كالجرّة تنتظم منه ومن أمثاله سلسلة تُدار بالناعورة لتغرف الماء من البئر إلى المزرعة (...) والقادوس وعاء كبير قمعي الشكل يُلقى فيه الحبّ فينزل إلى الطاحونة."[6]

---

[1]. نذكر من هذه المصادر الفقهية على سبيل المثال لا الحصر مصدرين مهمين: أبو الأصبغ عيسى بن موسى التطيلي، **القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**، تحقيق فريد بن سليمان والمختار التليلي (تونس: مركز النشر الجامعي، 2003)؛ محمد بن الرامي البنّاء، **الإعلام بأحكام البنيان**، تحقيق فريد بن سليمان (تونس: مركز النشر الجامعي، 1999).

[2]. لم تحظ مسألة صلاحية مياه الشرب باهتمام كبير من قبل الفقهاء المالكيين، بل انصبّ اهتمامهم على مدى طهارة الماء أو نجاسته، لتحديد ما إذا كان الماء صالحا للوضوء والطهارة الجسدية أو لا، وهذا ما يفسّر وجود بعض المسائل المتعلّقة بالماء في القضايا التي تتناول أحكام الوضوء والطهارة في الكتب الفقهية. واستنادا إلى هذه الكتب، يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من المياه: الماء الطّهور: وهو الماء الطاهر في نفسه والمطهر لغيره، مثل ماء المطر وماء البحر، والماء الطاهر: وهو الماء الطاهر في نفسه، لكنه غير مطهّر، مثل ماء الورد. ويضاف إلى ما سبق، هناك تصنيفات أخرى ممكنة للماء، منها: ماء مطلق، وهو يتطابق إلى حد كبير مع الماء الطهور، وماء مقيد، ويمكن مقارنته بالماء المضاف؛ وهو الماء الذي لم يعد على حالته الطبيعية بسبب تغيّر في لونه أو رائحته أو طعمه، وأخيرا ماء نجس، وهو الماء غير الطاهر، ويشمل المياه المستعملة مثل مياه الغسيل، والمياه العادمة الصناعية، ومياه المجاري. وللمزيد من التفاصيل، راجع:
Tariq Madani, "L'eau dans le monde musulman médiéval: L'exemple de Fès (Maroc) et de sa région," sous la direction de André Bazzana, thèse de doctorat en Archéologie, Université Lyon 2, 2003.

[3]. الأصل هو قدس؛ أنظر: عبد الله بن برّي، **غلط الضعفاء من الفقهاء**، تحقيق حاتم صالح الضامن (بيروت: عالم الكتب، 1987)، 1-26.

[4]. محمد بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، 1993)، ج. 6، 168-169.

[5]. محمد الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مراجعة أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد (القاهرة: دار الحديث، 2008)، 1294.

[6]. مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط** (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1976)، مادة (ق.د.س.)، ج. 2، 719.

أمّا في السياقات اللغوية الأخرى، فتعني كلمة قادوس في اليونانية (KADOS) واللاتينية (CADUS)، أي برميل، ومأخوذة من العبرانية "كمد" أي "دلو" أو "بتّ زيت،" وبذلك فهي تشير إلى " إناء من الطين المطبوخ يُستعمل لاستخراج الماء من الآبار."[7] وفي العاميّة المغربية، تُستعمل هذه الكلمة للدلاّلة على " أنبوب من الطين المطبوخ يُستخدم لتوجيه الماء،" وقد تعني أحيانًا أيضًا "آنية فخارية لتفريغ الماء من الآبار."[8]

إنّ مصطلح القادوس، كما سبق ورأينا، لم يكن معروفًا في اللغة العربية القديمة، غير أنّنا نجد ألفاظًا قريبة منه مثل القُدُس أو القُدّاس، وقد اختلف اللغويون في شرحها؛ فهي تُطلق على السطل أو الإناء الذي يُتطهّر ويُتوضّأ منه، كما قد تُستعمل بمعنى الطهارة، أو للدّلالة على حجر يُقسّم به الماء، وغير ذلك من المعاني.[9]

2.1. القادوس في الاصطلاح

القادوس إحدى التقنيات التي استُعملت في المغرب وسيلةً لنقل الماء، وقد أدّت هذه الأداة، وما زالت، دورًا أساسيا في حياة الإنسان المغربي عبر العصور (لوحة رقم 1)؛ سواء في استخراج الماء من الآبار، أو تفريغه من المناجم، أو جريانه نحو الأجنة والبساتين، أو في تزويد المدن العتيقة بالماء تلبيةً لحاجيات الجوامع والدور والحمّامات والفنادق. كما احتفظت كتب الأمثال الشعبية بوصف للقادوس، فجاء فيها: "ْحَلْ قَادُوسْ، الحَبَلْ عَلَى السّو،"[10] و"عْيَارْ القُوَيْدِيسْ، لاَ قَاعْ عْلشْ يَجْلَسْ، ولاَ مَقْبَضْ بَشْ يَحْبَسْ."[11]

اتّخذ القادوس أشكالًا متعدّدة وتسميات مختلفة.[12] وكان المصطلح يُطلق أحيانًا على الأنابيب الخشبية أو الفخارية أو القصديرية، ثم لاحقًا على الأنابيب البلاستيكية التي استُعملت لتصريف مياه الأمطار من سطوح المنازل وغيرها. كما يشير لفظ القادوس، بحسب رينهات دوزي، إلى الأحواض أو الأقداح الخشبية الصغيرة المثبتة على العجلات المائية، وإلى جزء من الطاحونة يجمع فيه الدقيق ويعرف بـ "قادوس الطاحونة."[13] وقد يدلّ أيضًا على أنبوب فخاري مبلّط أو غير مبلّط يُستخدم لإقامة المجاري والمصارف المائية في الوقت نفسه (لوحة رقم 2). أمّا في واحات المغرب الأدنى مثلًا، فإنّ لفظ القادوس يحمل معاني مغايرة، إذ يُطلق على "القلد،" أي الأداة التي تُستعمل كساعة مائية لضبط قياس الماء وتقسيم حصصه.[14]

---

[7]. طوبيا العنيسي الحلبي، **تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه**، تصحيح وتعليق يوسف توما البستاني (القاهرة: مكتبة العرب، 1932)، 54.

[8]. أحمد زروال،"قادوس،" ضمن **معلمة المغرب** 19، من إنجاز الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر (الرباط: دار الأمان، 1989)، 6578.

[9]. صلاح الدين الصفدي، **تصحيح التصحيف وتحريم التحريف**، تحقيق السيد الشرقاوي (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987)، ج. 1، 413.

[10]. عبيد الله بن أحمد الزجالي، **ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (أمثال العوام في الأندلس)**، تحقيق محمد بنشريفة (فاس: منشورات وزارة الدولة المكلّفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 1971) القسم 2، المثل 596، 135. والقادوس هو الكوز الذي يربط بدولب الساقية لإخراج الماء، والسّو هي السوءة.

[11]. الزجالي، **ري الأوام ومرعى السوام**، القسم 2، المثل 1659، 378.

[12]. الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، 1375.

[13]. Reinhart Dozy, S*upplément aux dictionnaires arabes* (Leyde : E. J. Brill ,1881) vol. 2, 314 - 315.

[14]. تعتبر بلاد الجريد خلال العصر الوسيط من بين المناطق الأكثر استعمالا للقادوس بغرض قسمة الماء بين كل المستفيدين، وما يؤكد ذلك ما ذكره البكري أثناء حديثه عن جداول الماء بتوزر حين قال: "وتتشعب من تلك الجداول سواق لا تحصى، تجري في قنوات مبنية بالحجر على قسمة عدل لا



اللوحة 1: تركيب قواديس الماء الحلو بموقع مولاي إدريس (عين الشقاق غربي مدينة فاس)، © أحمد صالح الطاهري 2008.

يزيد بعضها على بعض شيئا، كل ساقية سعة شبرين في ارتفاع الفترة (أي ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما) يلزم كل من يسقي نهارا أربعة أقداس مثقال في العام. قيل يلزم كل من يسقي نهارا أربعة أسداس المثقال في العام، وبحساب ذلك في الأكثر والأقل، وهو أن يعمد الذي يكون له دولة السقي إلى قدس في أسفله ثقب بمقدار ما يسدها وتر قوس النداف (والنداف هو آلة يندف بها القطن) فيملؤها بالماء ويعلقه ويسقي حائطه أو بستانه من تلك الجداول حتى ينفد ماء القدس، ثم يملؤها ثانية وهم قد علموا أنّ سقي اليوم الكامل هو مائة واثنان وتسعون قدسا." أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008)، ج. 2، 708-709.



اللوحة 2: قادوس من الفخار لتصريف مياه الأمطار من أسطح مدرسة بن يوسف بمراكش، © هشام الرگيگ 2019.

وإذا كان القادوس في المغرب يرتبط أساسًا بتقنيات توزيع الماء، فإنّه في تونس يدلّ على أداة تُستعمل لتحديد حصص مياه الري. ومن ثَمّ، ينبغي التمييز بين القادوس بوصفه أداة لتمرير الماء في المجال الزراعي،[15] وبين القادوس كأداة للاستعمال المنزلي في الحواضر. ففي الغالب، لكلّ حرفة دلالتها الخاصّة ووظيفتها المميزة بحسب المنطقة وبحسب تطوّرها عبر الزمن، وهو ما عبّر عنه المختار السوسي بقوله: "ممّا يتعجّب منه المطّلع في كلّ نواحي المغرب، أنّه يجد في كلّ جهة من الحرف والصنائع ما تدعو إليه الحاجة الحيويّة."[16]

يتبيّن مما سبق أنّ المعاجم العربية قد أغفلت الإشارة في تعريفها للقادوس بوصفه تقنيةً لجلب الماء وتقسيمه، كما لم تتطرّق إلى حرفة القوادسي. وهذا ما يدفعنا إلى طرح جملة من الأسئلة: ما سبب هذا الإغفال؟ وإلى أيّ حدّ يمكن أن يكون مردّه إلى طابع محلي، بحيث يكون لفظ القوادسي مصطلحًا وُلد ونشأ وانتشر في المغرب، وربّما في عموم الغرب الإسلامي، دون أن يجد له منفذًا إلى لغة المعاجم العربية؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، ينبغي النظر في مصطلح القنواتي باعتباره مرادفًا لكلمة القوادسي، فكيف عرّفته المعاجم العربية؟ وهل تسمح المعطيات الواردة فيها بالقول إنّ القنواتي والقوادسي وصفان لشخص واحد؟

---

[15]. عيسى الحسني العلمي، **كتاب النوازل**، تحقيق المجلس العلمي بفاس (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1986)، ج. 2، 227.
[16]. محمد المختار السوسي، **المعسول** (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1960-1963)، ج.1، 36.

ويبدو أنّ مصدر لفظة القنواتي يحمل أكثر من معنى، وهو ما يتضّح من خلال ما أورده الفيروز آبادي في تعريفه لمادّة "قنو،" إذ يقول: "والقناة الرمح، جمع قنوات وقَنا وقَني وقنيات، وصاحبها قَنّاء ومُقن. وكلّ عصا مستوية، قيل ولو معوجة، وكظيمة تُحفر في الأرض جمع قني، والهدهد قَنّاء الأرض ومُقنيها، أي عالم بمواضع الماء منه."[17]

يتبيّن من هذا أنّ القنواتي هو صاحب القناة (قنّاء ـ مُقن)، كما قد يعني أيضًا العالم بمواضع الماء في الأرض (مُقنيها). ومن هنا يُطرح السؤال: هل يمكن القول إنّ القنواتي هو نفسه القوادسي؟ يظهر أنّ الأمر كذلك، وهو ما يؤكده حوار أجراه أحمد الناصري صاحب **الاستقصا** مع من سمّاه أحد القناقنة بسلا حول سور الماء الداخل إلى المدينة،[18] حيث ينعت الإخباري الشخص القائم على تدبير أمر المياه وإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح في تلك القناة بـ"القنقن."[19] وهذا ما قد يوحي بأنّ القوادسي والقنواتي ليسا سوى صفتين لشخص واحد، أي المشتغل بإنشاء القنوات المائية وصيانتها. ويُستشفّ المعنى ذاته عند ابن الرامي صاحب **الإعلان بأحكام البنيان** في حديثه عن مسائل بناء وإصلاح القنوات المائية، من قبيل بناء قناة في الشارع، ودار ليس فيها قناة، أو الكلام في قناة دار رجل.[20]

يتضّح إذن أنّ القوادسي كحرفة لا نجد لها ذكرًا صريحًا في المعاجم اللغوية، باستثناء الربط الممكن بينها وبين تقنية القادوس. وهذا يسمح بالقول إنّ القوادسي هو إمّا صانع القواديس وممتهن صناعتها الفخارية، أو المُركب لها ضمن قنوات مائية. ومن ثمّ يقترب من وظيفة القنواتي، أي العارف بكيفية جريان المياه الباطنية وصرفها.[21] أمّا إذا أُدرجت هذه الحرفة ضمن أعمال أخرى مرتبطة بالقادوس، فإننا نصبح أمام ثلاث أنشطة بشرية متمايزة: أولها،

---

[17]. الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، 1375.

[18] . أدرج الناصري في الفصل الذي خصّصه لبقيّة أخبار السلطان أبي الحسن المريني نصًا لحوار له مع أحد من اسماهم بالقناقنة حول السور المحمول عليه الماء المعروف بسور الأقواس، ليثبت به أنّ السور من بناء أبي الحسن. وتأتي أهمية هذا النص من كونه جاء على لسان أحد الحرفيين المتخصصين في حرفة القواديس، ولهذا سنورده بكامله لنقف على اسم الحرفة ووظيفتها، يقول: " ...وأمّا المسجد الأعظم ومدرسته الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدي حسبما تقدم ذلک في أخباره، وعندي أن السور المحمول عليه الماء الداخل إلى سلا المعروف عندهم بسور الأقواس من بناء السلطان أبي الحسن رحمه الله، ولي في ذلک مستند غريب وهو أنّي كنت ذات يوم أفاوض القناقنة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه بها ويصلح ما احتاج إلى الإصلاح منها، فقلت كالمستفهم لنفسي من غير قصد توجيه الخطاب إليه، يا ترى من الذي بنى سور الماء الداخل إلى البلد؟ فقال على البديهة: الذي بنى المدرسة هو الذي بنى سور الماء، فقلت له وكنت متشوقا يومئذ لتحقيق ذلک، وما علمک؟ فقال: أن بيلة المدرسة بنيت يوم بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره في سائر حيطان المدرسة وسواريها، وهذه البيلة لم تتغير عن حالها إلى أن باشرت إصلاحها في هذه الأيام، فحفرت قنواتها وتتبعت الماء الواصل إليها؛ فإذا عمل تلک القواديس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها يوم تأسيسه من غير فرق بين هذه وتلک في جميع عملهما، وليس شيء من القنوات الحادثة بعدها يشبههما، فعلمت أن الذي بناهما واحد، فأعجبني كلامه وباحثته في ذلک فصمم على معتقده، وحاولت تشكيکه بكل وجه، فلم يتشكک فظهر لي صدق دليله وغلب على ظني ما جزم به وعند الله علم الحقيقة." أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954)، ج. 3، 175ـ176.

[19]. يعرف اسم القنقن، بأنه الشخص الباحث عن المياه الجوفية، ويحمل تسميات متعددة لعل أشهرها: مافامان وماڭامان وأمنير، وبالعربية النصّات، والسؤال المطروح لماذا أصرّ الناصري على نعت مستجوبه بالقنقن؟

[20]. ابن الرامي، **الإعلان بأحكام البنيان**، 127ـ 133.

[21]. إذا كان هناک تداخل بين حرفتي القوادسي والقنواتي بالمغرب للدلالة على الشخص الذي يقوم بتركيب القواديس والعارف بإجراء المياه وصرفها، فإنّه بالمشرق الإسلامي وبالضبط في بلاد الشام نقف على مصطلح "القساطلي" كمرادف لنفس حرفة القوادسي، والقساطلي هو صانع القساطل وهي أنابيب من فخار تستخدم وسيلة لتمرير الماء من مكان إلى آخر، في حين أنّ القنواتي هو الذي يمدّدها أو يبنيها ويفرّغها ويتعهّدها بالصيانة والتعديل لإسالة الماء الحلو من النهر إلى الحياض الموجودة في الدور وغيرها. وقد يكلّف القساطلي بصيانتها أيضا. أمّا الشاوي فهو من يضبط حصص الماء المسموح بجرها عبر هذه القساطيل إلى أنحاء المدينة بحسب عدّادات مقرّرة بموجب حجج وعقود خاصة بأصحابها. انظر: محمد صبحي صقار، "بين القسطلين منهل الماء وغابة الكستناء،" **مجلة الباحثون** 64 (2012): 1-2.

صناعة القادوس، وهي حرفة تقنية تقوم على إنجاز قوالب فخارية مهيّأة لتمرير المياه، جلبًا أو تصريفًا.[22] وثانيها، تركيب القواديس ضمن شبكة مائية تُكوّن قناة. وثالثها، الكنافة أي تنظيف وإصلاح مجاري المياه، وهي حرفة وُصفت بالابتذال والمهانة. ويؤكد الرحالة ابن جبير ما قلناه عندما أتى على ذكر الكنافة ضمن الأعمال التي يهين صاحبها نفسه ليؤديها.[23]

ونخلص إلى القول إنّ القوادسي هو الحرفيّ المتخصّص في إنشاء وصيانة القنوات، سواء الجوفية أو السطحية، التي تنقل المياه من العيون والآبار إلى مختلف مرافق المدينة. وقد قامت هذه التقنية على نظام هندسي متطوّر، إذ صُمّمت القنوات بطريقة تضمن استمرارية تدفّق المياه دون الحاجة إلى مضخات حديثة، وهو ما يعكس معرفة دقيقة بعلوم الحيل (الميكانيكا) وقواعد جريان المياه والجغرافيا.

2. حرفة القوادسي عبر تاريخ المغرب

يقتضي البحث في حرفة القوادسي دراسة معمّقة تتجاوز الظاهر إلى استكشاف مضامين النصوص والإشارات المرتبطة بها. وفي هذا السياق، نسعى إلى تتبع حضور هذه الحرفة في تاريخ المغرب، اعتمادًا على مجموعة من المصادر التاريخية التي تناولتها بالوصف والتحليل، سواء فيما يتعلّق بالشروط الواجب توافرها لدى ممارسيها، أو بالمكانة التي حظوا بها داخل النسيج الاجتماعي، فضلاً عن رصد أوجه الاختلاف بين النصوص المختلفة في هذا الصدد.

1.2. معطيات عامة عن حرفة القواديس في بلاد المغرب قبل الإسلام

رغم أنّ المجتمع الإغريقي كان سبّاقًا في استخدام تقنيات تزويد المدن بالمياه عبر إنشاء القنوات، فإن الفضل في تطوير هذه التقنيات وتحسين أدائها يُعزى إلى الحضارة الرومانية، التي أولت اهتمامًا بالغًا بعمليات استكشاف الموارد المائية ونقلها إلى مراكز العمران، سواء في الحواضر أو الأرياف. وبوجه عام، فقد أسهمت كل من الحضارتين الإغريقية والرومانية، إلى جانب حضارات أخرى كبلاد الرافدين واليمن، في إرساء مشاريع مائية كبرى، هدفت إلى تزويد التجمعات السكانية بالماء وسقي الأراضي الزراعية، ضمن السعي لتنمية الإنتاج الفلاحي وتحقيق الاستقرار البشري.[24]

وارتبط إنشاء القنوات والقواديس في المدن المغربية القديمة، وفي شمال إفريقيا عموما، بالمنشآت العمومية، وعلى رأسها الحمّامات، التي كانت من أبرز مكوّنات النسيج الحضري. وقد

---

[22]. إذا كان هناك تداخل بين حرفتي القوادسي والقنواتي بالمغرب للدلالة على الشخص الذي يقوم بتركيب القواديس والعارف بإجراء المياه وصرفها، فإنه بالمشرق الإسلامي وبالضبط في بلاد الشام نقف على مصطلح "القساطلي" كمرادف لنفس حرفة القوادسي، والقساطلي هو صانع القساطل وهي أنابيب من فخار تستخدم وسيلة لتمرير الماء من مكان إلى آخر، في حين أن القنواتي هو الذي يمددها أو يبنيها ويفرعها ويتعهدها بالصيانة والتعديل لإسالة الماء الحلو من النهر إلى الحياض الموجودة في الدور وغيرها. وقد يكلف القساطلي بصيانتها أيضا. أما الشاوي فهو من يضبط حصص الماء المسموح بجرها عبر هذه القساطيل إلى أنحاء المدينة بحسب عدادات مقررة بموجب حجج وعقود خاصة بأصحابها. أنظر: صبحي صقار،"بين القسطلين،": 1-2.

[23]. محمد بن جبير، **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار الثقافة، 1964)، ج. 1، 68.

[24]. عبد العزيز بلفايدة، "الماء بين المقدس والمنفعة العامة بشمال إفريقيا قبل الفترة الإسلامية من خلال النقائش،" ضمن **الماء في تاريخ المغرب**، أعمال ندوة حول أيام 10 و11 و12 دجنبر 1999 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق (الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، 1999)، 38.

أُسندت مهمة الإشراف على هذه الأشغال إمّا إلى موظفين بلديين أو إلى مختصّين يُعرفون بلقب (*Curator aquae*)، أي أمناء الماء،[25] الذين كانوا مسؤولين عن تدبير وتوزيع الموارد المائية. كما أسهمت عناصر من الجيش، ولا سيما الفيلق الثالث الأوڤسطي (*Augusta Legio III*) في إنجاز بعض هذه المنشآت، مثل مشاركتهم في تشييد القناة الكبرى بمدينة لامبيز.[26] وينطبق هذا الدور أيضًا على مدن أخرى مثل وليلي وليكسوس وسلا (لوحة رقم 3)، وعين شرشالة بمنطقة الأوراس، وسالاتا المعروفة اليوم بمدينة بجاية، حيث أُقيمت قناة مائية بطول 21 كيلومترًا، صمّمها المهندس (*Datus Nomios*) سنة 137م.[27]



اللوحة 3: جزء من القناة تحت أرضية التي زودت مدينة سلا الرومانية (شالة) بالمياه، © هشام الرگيگ 2012.

ويُعدّ حضور المهندس عنصرًا حاسمًا في إنجاز المشاريع المائية الكبرى، إذ كان يتولّى مهام متعدّدة تبدأ بتهيئة الأعمال المرتبطة بمدّ القنوات، مرورًا بضبط القياسات ميدانيًا، وانتهاء بالإشراف على تنفيذ التصاميم الأولية، التي تشكل الأساس في تحديد مسار القناة ووظائفها. كما كان من اختصاصه التدخّل في عمليات الترميم والصيانة الدورية لضمان استمرار تدفّق

---

[25]. بلفايدة، "الماء بين المقدس والمنفعة العامة،" 39. راجع أيضا:
Mireille Corbier, "La famille de Séjan à *Volsinii*: la dédicace des *Seii, curatores aquae*," *Mélanges de l'École française de Rome. Antiquités* 95-2 (1983): 716-756.

[26]. Marcel Le Glay, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Aurès sous les Flaviens* (Paris: CNRS, 1966), 97; Yann Le Bohec, *L'armée romaine en Afrique* (Paris: Éditions du CNRS, 1989), 132; Jean-Pierre Laporte, "Les camps militaires de Lambaesis," *Antiquités africaines*-14 (1980): 25-38.

[27]. راجع بشأن تيمة الماء في الوسط الحضري بشمال إفريقيا خلال العهد الروماني: سمير آيت أومغار، **الماء والمدينة بشمال إفريقيا في العهد الروماني** (الرباط: الجامعة الدولية للرباط وأكاديمية المملكة المغربية، 2023).

المياه واستقرار المنشآت. وتظهر القنوات المكتشفة في مواقع مثل وليلي، وليكسوس، وسلا مستوىً عالٍ من الدقة في التصميم والتنفيذ، ممّا يشير إلى وجود جهاز تقني وهندسي منظم، تولّى الإشرافَ على مختلف مراحل البناء، من وضع التصاميم، إلى التشييد، ثم المتابعة والمراقبة.[28]

2.2. القوادسي على ضوء المصادر التاريخية والدراسات الحديثة

أ. الإشارات المصدرية

يأتي العلاّمة ابن خلدون على ذكر مسألة مراقبة جريان المياه في الدور عبر استخدام القنوات المدفونة، باعتبارها من مظاهر الخبرة التي ينبغي أن يتحلّى بها أرباب البصر من البنّائين. فهو يقول: "ويتم إخفاء جميع ذلك إلاّ على أهل البصر العارفين بالبناء وأحواله؛ المستدلّين عليها بالمعاقد والقمط ومنافعها، وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضرّ بما مرّت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كلّه البصر والخبرة التي ليست لغيرهم."[29]

ويؤكد هذا الأمرَ ابن الرّامي، إذ يورد جملةً من المسائل المتعلّقة بإنشاء القنوات وإصلاحها. وهو يتحدث بصفته عارفًا بأمور البناء وما يتصّل به من إجراء المياه وتصريفها، وغالبًا ما كانت هذه القنوات تُشيّد بتركيب القواديس بعضها فوق بعض. ومن ذلك قوله: "الكلام في دار رجل ليس فيها قناة فأراد أن ينشئها. قال المعلّم محمد إذا كان للرجل دار وليس فيها قناة فأراد أن يحدث قناة في داره ويخرجها في القناة التي في الزقاق، فلا يخلو إمّا أن تكون القناة التي في الزقاق تجري إلى الخندق أو تشقّ في دار أحد، فإن كانت تجري في دار أحد فليس لأحد أن يزيد في تلك القناة قناة أخرى إلاّ بإذن صاحب الدار التي تشقّ القناة في داره بلا خلاف..."[30]

ويستشفّ من هذا النص أنّ إنشاء القنوات لم يكن يقتصر على الجانب الفنّي المتعلق بالتشييد، بل كان يتطلّب أيضًا معرفة دقيقة بحقوق إجرائها والقيود الشرعية المرتبطة بها، فضلاً عن تقدير الأضرار المحتملة المترتبة عنها. ومن ثَمّ، برزت الحاجة إلى القوادسي باعتبارهم من أرباب البصر الذين يجمعون بين الخبرة التقنية والدراية الفقهية والقانونية (لوحة رقم 4).

---

[28]. حول دور المهندسين في تخطيط وتنفيذ المنشآت المائية في العالم الروماني، راجع:
Jean-Claude Golvin, *L'urbanisme et l'architecture dans le monde romain* (Paris: Errance, 2000), 122-135; Alfred Hodge Trevor, *Roman Aqueducts & Water Supply* (London: Duckworth, 2002), 157-163.

[29]. عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق خليل شحاذة، مراجعة الدكتور زكار سهيل (بيروت: دار الفكر، 2001)، 177.

[30]. ابن الرامي، **الإعلان بأحكام البنيان**، 127.



اللوحة 4: "المعدة" كمحطة أساسية لتوزيع الماء الحلو، موقع مولاي إدريس بعين الشقاق غربي مدينة فاس، © أحمد صالح الطاهري، 2008.

لقد قدّر أرباب البصر حسب وثيقة عدلية أوردها محمد مزين في مقال له "الماء الجاري به لست مآزب[31] (...) وتتبعوا الماء المذكور إلى الخرزة التي ينقسم منها الماء لسواقي جنّات باب الفتوح وجنّات بني مسافر، فوجدوا مقدار ما بلغ للخرزة المذكورة من الماء المذكور ميزابا واحدا ونصف، وذكر لهم أن الثلث من الست مآزب المذكورة من حق أرباب الأرحي والقوادس والعرص والمساجد."[32] كما ورد في وثيقة عدلية (تقرير) حول مجاري مياه وادي فاس وإصلاحها كتبت سنة 1299هـ/1881م،[33] ذكر أسماء بعض القنويين المشاركين ضمن أرباب البصر المشكلين للجنة التي أمر السلطان الحسن الأوّل بتعيينها للبت في قلة وصول المياه لبعض مرافق مدينة فاس، حيث نعثر من ضمنهم على قنويين هما المعلّم إدريس الريفي والمعلّم

[31]. هو باللغة الفرنسية (Caniveau) أو (Gouttière)، ويعني المهراق أو القادوس أو الأنبوب الذي يحمل مياه الأمطار من سطح المبنى إلى الأرض.

[32]. محمد مزين، "وثيقة جديدة حول توزيع المياه بفاس المدينة القديمة (عدوة الأندلس) في أواخر العصر المريني،" **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس** 2 (1979-1980): 379-400.

[33]. عبد القادر زمامة، "تقرير عدلي عن مجاري مياه وادي فاس وإصلاحها كتب سنة 1299هـ/1881م،" **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس** 6 (1982-1983): 81-96 . والتقرير يمثّل وثيقة حضارية عن مجاري مياه وادي فاس وإصلاحها كتب سنة 1881م، إثر القيام بتحري ميداني شمل أحياء مدينة فاس، شارك فيها أهل الخبرة والمعرفة وكلّ من يعنيه ذلك من نوّاب عن الأحياء والمستفيدين ونظّار الأحباس ورجال السلطة والشهود، وينفرد الأستاذ زمامة بالتقرير الذي عثر عليه في كرّاسة محفوظة في خزانة أحد عدول مدينة فاس. إنّ الداعي للتقرير هو أمر السلطان المولى الحسن لقاضيه المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي في كتاب بعث به إليه بأن يعيّن العدول وأرباب البصر من أهل المعرفة والخبرة، ليتوجهوا مع أمينه الحاج عبد السلام محمد المقري لماء وادي فاس الداخل للمدينة والمنقسم بجداول وقواديس على مساجدها ودورها وحمّاماتها وجناناتها وغير ذلك قصد البحث في سبب قلّة وصوله للمرافق المذكورة وانقطاعه عن جل المساجد من القرويين وروضة المولى إدريس والنظر كذلك في البناءات والزيادات المحدثة. وامتثالا للأمر السلطاني، كوّنَ الأمين الحاج عبد السلام بن محمد المقري لجنة من أهل عدوة الأندلس والقرويين وحومة اللمطيين تشتمل على أهل المعرفة والخبرة والبصر وأهل الرأي والنظر من الفلاّحين والبنّائين والنجّارين والرحويين والقنويين والنظّار والعارفين بأحوال الوادي وتقاسمه على الخاص والجمهور.

قدور.[34]

بعد ذلك يذكر مدوِّنُ الوثيقة مراحل المعاينة الميدانية التي تمّ القيام بها في العدوتين وحومة اللمطيين، وسنقتصر هنا بالخصوص على العبارات التي جاء فيها ذكر القنويين لنقف من خلالها على مجالات تدخلهم "كما وقفوا على قادوسين بوادي الفجّالين (...) فألفوا أحدهما مفروعا يأخذ من الماء أكثر من حقه، وأنّ في بقائه كذلك ضررا، شهد بذلك الرحويون والقنويون والبنّاؤون والنجّارون[35](...) كما وقفوا أيضا على وادي عبود المقابل لباب جامع الأندلس، فألفوا به بناء جديدا وبداخله ناعورة للمحتسب السيد الحاج بنّاني التي يذهب ماؤها لعرصته الكائنة ببني مسافر (...) فشهد البنّاؤون والنجّارون والقنويون وأهل العدوة بأنّ الناعورة المذكورة مع الردعة المستعملة لها والبناء المستعمل بالوادي لذلك الجميع حادث وفي ذلك ضرر على أرباب الوادي."[36]

ويتبيّن من الإشارات السابقة أنّ مجال تدخّل القنواتي يشمل إبداء الرأي في الأضرار التي قد يتسبب فيها القادوس إذا استأثر بنصيب زائد من المياه، كما يشمل النظر في مسألة بناء الناعورة وتنظيم جريانها، فضلاً عن غير ذلك من القضايا المرتبطة بتوزيع المياه وإدارة منشآتها.

وفي نصّ نازلة مرفوعة إلى الشيخ المسناوي (ت. 1117هـ/1705م) عن "قادوس قديم جدا، له ستمائة سنة وما ينيف عليها، وجلّه حبس وبعضه لجماعة من الناس ويكنّى بقادوس سبعة مساجد. ثم أتى آت وادّعى أنّ ذلك القادوس يجلب من الماء أكثر من غيره لكونه أنزل في الأرض فرفعه وبدّل فيه وغيّر. فلمّا وقع فيه التبديل والتغيير تعذّر شربه وقلّ ماؤه وتعطّلت المساجد وجفّت الدور وظهر فيها فساد مفرط."[37] ويبدو من خلال هذه النازلة أنّ هناك أمورا متعدّدة من أهمّها مدى الإتقان والدقّة اللذين تميّز بهما هذا القادوس ممّا مكنه من الاستمرار في أداء وظيفته لأكثر من ستّ مائة سنة. كما أنّ هذا القادوس ارتبط بعدد من المنشآت الدينية والاجتماعية. ومن خلال تسميته بقادوس سبعة مساجد يمكن الاستدلال على إمكانية إطلاق أسماء أحياء أو أعلام على هذه التقنية. أمّا فيما يخصّ حرفة القوادسي فإنّ الضبط والإتقان اللذين اتّصف بهما القادوس موضوع النازلة قد ضاعا نتيجة تدخّل شخص غير مؤهّل في عملية إصلاحه. ويستفاد من ذلك أنّ الشخص الذي أشارت إليه النازلة بلفظ "آت" لم تكن له الخبرة الكافية التي تخول له إجراء تغييرات في القادوس. وبما أنّ واضع النازلة لم يصف هذا المتصرّف في القادوس بصفة القوادسي يمكن القول إنّه أراد تمييزه عن أصحاب هذه الحرفة المتمرّسين

---

[34]. زمامة، "تقرير عدلي عن مجاري مياه وادي فاس،" 85.

[35]. زمامة، "تقرير عدلي عن مجاري مياه وادي فاس،" 90.

[36]. زمامة، "تقرير عدلي عن مجاري مياه وادي فاس،" 95.

[37]. المهدي الوزاني، **النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى (المسماة بالمعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب)** ، قابله وصححه عمر بن عباد (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996)، ج 8، 237-238.

ذوي الدراية الذين بفضلهم استمر القادوس في أداء دوره لستّة قرون أو أنّه رأى في القادوس قدرة على جلب الماء أكثر من غيره فقام برفعه مما تسبّب في تعذّر الانتفاع بمياهه للشرب.[38]

ب. القوادسي في ضوء الدراسات الحديثة

من أبرز هذه الدراسات دراسة لوي ماسنيون (Louis Massignon)، حول حرفة القوادسي، وتكمن أهميّتها في أنّها تقدّم في قسمها الأوّل لوائح الحرف بخمس مدن مغربية كبرى هي فاس ومراكش والرباط وسلا ومكناس، وذلك اعتمادا على بيانات وتقييدات صادرة عن المحتسب في هذه المدن، مع ملحق إضافي يخصّ مدينتي الدار البيضاء وتارودانت وخمس مدن صغيرة أخرى. وتتضمّن هذه اللوائح اسم الحرفة ووظيفتها وعدد المعلمين وأماكن انتشارها داخل المدن.[39] ويعرض الجدول التالي خلاصة المعلومات الواردة في هذا القسم (جدول رقم 1).

من خلال المعطيات التي يقدمها هذا الجدول يمكن استنتاج أنّ حرفة القوادسية لم يكن لها حيّ خاص في جميع المدن التي تناولتها الدراسة. وقد ينفرد القوادسية بحيّ خاص بهم كما هو الحال في فاس ومكناس كما يمكن أن يشتركوا مع أصحاب حرف مشابهة أو قريبة من حرفتهم مثل الخطاطرية والبيّارة في مراكش والكنّافين في الرباط.

المدينة	عدد المعلمين	الحرفة
فاس[40]	16 معلم	القوادسية
مراكش[41]	9 معلمين	يشتركون في الحرفة مع الخطاطرية والبيّارة
الرباط[42]	————	يشتركون في الحرفة مع الخمّالة (الكنّافون)
سلا[43]	————	————
مكناس[44]	————	القوادسية

الجدول 1: اسم الحرفة ووظيفتها وعدد المعلمين وأماكن انتشارها بأبرز المدن العتيقة بالمغرب.

---

[38]. الوزاني، **النوازل الجديدة الكبرى**، ج 3، 238.

[39]. الوزاني، **النوازل الجديدة الكبرى**، ج 3، 238.

[40]. من خلال بيان الحرف والصنائع بفاس للمحتسب إدريس المقري بتاريخ 12 ماي 1923، بحث تولى أمر إنجازه ريمون جوردا (Raymond Jourda)
Louis Massignon, "Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc (1923-1924)," *Revue du monde musulman* 58 (1925): 20.

[41]. تقييد إحصاء أرباب التجارة والحنّاطين والحرف بمراكش قام به المحتسب عبد الرحمن متوكل، بتاريخ 30 ماي 1923، تحت إشراف (Venis Delarue)
Massignon, "Enquête sur les corporations," 20.

[42]. بيان بأسماء الحرف للمحتسب من إدارة شؤون الأهالي، بتاريخ يونيو 1923، بحث قام به بيير شامبيون (Pierre Champion).
Massignon, "Enquête sur les corporations," 25.

[43]. فهرسة كناشات الحسبة، المحتسب إدريس بن عامر، 7 يونيو 1924، بحث قام به بول موسار (Paul Moussard).
Massignon, "Enquête sur les corporations," 30.

[44]. فهرسة المحتسب أحمد ترات، 4 يونيو 1924، بحث قام به أمادي رينيسيو (Amadée Renisio).
Massignon, "Enquête sur les corporations," 36.

أمّا الشقّ الثاني من هذه الدراسة، فيناقش فيه ماسينيون التدخّل الأوروبي وأثره على التجمّعات الحرفية التقليدية بالمغرب. فلقد تطلّب تنفيذ مشروع مدن أوروبية على مقربة من المدن العتيقة (مدن الأهالي حسب تعبير وثائق تلك الحقبة) من إدارة الحماية، تكوين حرفيين مغاربة جدد خارج الحرف أو الحنطات أو المهن التقليدية المعروفة، يشتغلون بأدوات وموادّ لم يعهدها الحرفيون المغاربة من قبل. وهكذا، نجحت الإدارة الفرنسية في تكوين عدد مهم من المعلمين، لكن هؤلاء فضّلوا البقاء أو الانضمام إلى الطوائف التقليدية المنظمة لحرفتهم ومنهم القوادسية.[45] وفي خضمّ حديثه عن العراقيل التي واجهها المهندسون الأوروبيون، أشار ماسينيون إلى توزيع المياه بمدينة مراكش، وذكر أنّ 50 كلم من شبكة القنوات الباطنية التي توفّر وتوزّع المياه على المساجد والسقّايات والحمّامات والبساتين جزء منها تشمله القواديس. كما ذكر أنّ القوادسية يرفضون رفضا تامّا إطلاع الفرنسيين على تصاميم شبكة القواديس التي تقوم بتوزيع الماء بمراكش، معتبرين الأمر سرّا من أسرار حنطتهم يتوارثه الابن عن أبيه للحفاظ عليه.[46]

وفي الشقّ الثالث من هذه الدراسة يميّز ماسينيون نفسه بإيراد نصّين يتعلّقان بموجب مؤرخ في الخامس من رجب سنة 1301 هـ الموافق للأول من ماي 1884 م والمعروف بموجب الصويري. يتضمّن النص الأوّل أمر السلطان المولى الحسن بتشكيل لجنة لتقصّي أسباب نقص المياه الواصلة إلى المساجد والدور والحمامات والأرحية والبساتين بمدينة فاس، أمّا النصّ الثاني المترجم من قبل جون ريمون، فيورد أسماء الأعضاء الذين شملهم هذا التعيين ومن بينهم شخصان ينتميان إلى نفس الحرفة: إدريس بن المعلّم علي الريفي وقدّور بن صالح الصحراوي.[47]

إنّ ذكر القوادسية في النص بما يوحي إلى خبرتهم يدفعنا للتساؤل عن سبب عدم الإشارة إليهم بأسمائهم التي تتكرر في تقاييد وفهارس محتسبي المدن. فهل ثمة فرق بين ذكرهم في النصوص الصادرة أو الموجّهة إلى السلطان وبين نصوص المحتسبين؟ أم أن هناك تمييزا بين الخبراء والقوادسية بحيث لا يشير الاسم إلى نفس الأشخاص؟ ويمكن استبعاد هذا الاحتمال لأنّ كلا المسمّيين يقومان بنفس الوظيفة، وهي توزيع وإمداد قنوات المياه. وقد ذُكر اسم أحد الخبيرين مع إضافة اسم أبيه وهو إدريس بن المعلّم ما يشير إلى توارث الحرفة من الأب إلى الابن. كما أضيفت لاسمي الخبيرين نسبة إلى مناطق مغربية، الأوّل إدريس بن المعلّم علي الريفي في إشارة إلى منطقة الريف، والثاني قدّور بن صالح الصحراوي في إشارة إلى الصحراء. ويمكن اعتبار هاتين الإضافتين معطيات مهمة لتحديد أصول أصحاب هذه الحرفة.[48]

---

[45]. Massignon, "Enquête sur les corporations," 178.

[46]. Massignon, "Enquête sur les corporations," 179.

[47]. Massignon, "Enquête sur les corporations," 230-231.

[48]. وهما نفس الشخصين الواردين في التقرير العدلي عن مجاري مياه وادي فاس وإصلاحها الذي سبقت الإشارة إليه.

وثمّة دراسة ثانية وجب التنويه بها من إعداد إدريس علّوش،[49] وما يهمّنا من هذه الدراسة هو الورقة التقديمية للوثيقة التي تتناول حرفة القوادسية والتي سنقتطف منها ما يصبّ في صلب الموضوع. فقد كانت مهمّة تعهد وصيانة شبكة توزيع المياه قبل الحماية من اختصاص إدارة الأحباس، قبل أن تتحوّل إلى اختصاص الأشغال البلدية التي شرعت في إعادة هيكلة مرحلية لها. ويحظى المهندس المكلّف بهذا المشروع الضخم بمساعدة أمين المياه لسببين، الأوّل لمّا يتميز به الموضوع من حساسية اجتماعية مرتبطة بعلاقات السكان بالماء، والثاني للتعقيد الفني للشبكة نظرا لتشابك مجاري المياه وتراكبها في بعض المواقع حيث توجد قنوات فوق أخرى. ويتضّح من خلال الإشارات التاريخية السابقة أنّ القوادسي يجمع بين تركيب القواديس وإصلاحها وتتبع قنواتها والمشاركة في لجان الخبرة مع أرباب البصر وأهل المعرفة بشؤون توزيع واستغلال المياه.

3. أوصاف القوادسي وأدوات عمله

لا تتوفّر لدينا معلومات كافية عن الأوصاف المتعلقة بالقوادسي، بيد أنّ قراءة بعض الإشارات التاريخية تسمح بالتوقّف عند مجموعة من الصفات والخصائص التقنية التي يجب أن تتوافر في الشخص المكلّف بإنشاء أو تتبّع القنوات المائية المكوّنة من القادوس.

1.3. صفات القوادسي

يبدو أنّ حرفة القوادسي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بصناعة الفخار. فقد كان صانعو الفخار بمدينة فاس خلال العهد المريني ينتجون الأقنية اللاّزمة لجلب المياه وتفريغها.[50] أمّا في مراكش، فقد أسفرت الحفريات التي أجريت بين عامي 1948 و1952 بموقع جامع الكتبية عن اكتشاف بقايا قنوات رصاصية ونحاسية كانت تغذّي صهريجًا مائيًا بحصن يوسف بن تاشفين المعروف باسم قصر الحجر.[51] وكانت الساقية تُعرف لدى سكان مراكش باسم القادوس، كما يشير كْاستون دوفْردان،[52] وتتّخذ أحد شكلين: إما قناة مشيدة من الآجر ومملّطة (لوحة رقم 5)، أو سلسلة من الأنابيب الفخارية المصنوعة من طين مطبوخ، ذات أبعاد محدّدة تتراوح بين عشرة وخمسة

---

[49]. قدم سعيد علّوش في العدد 18 من مجلة **هسبريس** لسنة 1934 وثيقة جديدة حول الشبكة المائية لمدينة فاس في عهد السلطان المولى الحسن، قام بصياغتها واحد من أهل فاس يسمى محمد العربي بن عبد السلام إبراهيم:

I. S. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès au temps de Mawlay Ismail d'après un texte inédit, avec une étude succincte sur la corporation des Kwadsiya," *Hespéris* XVIII-1 (1934): 49-63.

وقد نشر عبد القادر زمامة النص العربي سنة 1985 تحت عنوان: عبد القادر زمامة، "وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة،" **مجلة المناهل** 32 (1985): 220-230. وقد كتبت الوثيقة سنة 1715 واستنسخت في شكل رسوم عدلية أربع مرّات، كان آخرها سنة 1918 ممّا يدل على أنّها وعلى امتداد قرنين من الزمن كانت تستعمل في المرافعات عند القضاة والمنازعات المتصّلة بالمياه بفاس، راجع:

Mohammed Naciri, "L'eau à Fès, miroir social et politique d'une société urbaine," *Critique économique* 7 (2002): 10.

[50]. روجي لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة نيقولا زيادة (بيروت: مكتبة لبنان، 1967)، 131.

[51]. Djinn Jacques Meunié et Henri Terrasse, *Recherches archéologiques à Marrakech*, Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, LXII (Paris: Art & Métiers Graphique, 1952), 17-19; fig. 5.

[52]. كْاستون دوفْردان، **تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية (1912)**، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف، 2012)، 45-46.

عشر سنتيمترا في القطر، وثلاثين إلى أربعين سنتيمترا في الطول. وكانت هذه الأنابيب تُجمع بإحكام وتُعزل باستعمال مزيج من الجبس والطين، ما يضمن استمرار تدفّق المياه دون تسرّب.[53]



اللوحة 5: قناة من الآجر ومملّطة اكتشفت بحفريات قصر الحجر المرابطي المجاور لجامع الكتبية،
© Meunié et Terrasse, *Recherches archéologiques à Marrakech,* PL 45 b.

كانت هذه القواديس تؤدّي وظيفة أساسية في تنظيم توزيع المياه على مستحقّيها، إذ كانت أجزاؤها تصنع من الطين المطبوخ وتتنوّع أحجامها بما يتلاءم مع كمية المياه المراد إيصالها. وغالبًا ما كانت تتعرض للتلف بفعل تراكم الطمي. وتكمن أهمية ضبط مقاييس المياه في أن أي منشأة مائية يجهل مقدار تدفقّها لا يمكن بيعها أو التصرف فيها. وتكشف إحدى النوازل الفقهية التي عرضت على الفقيه عبد الله العبدوسي (ت. 849 هـ/1445 م) عن مجموعة من المعطيات المهمة المتعلقة بأسلوب إنشاء القواديس ودورها في قياس المياه. فقد سئل عبد الله العبدوسي عن "مسجد ملاصق لدرب اليهود، فطلبوا من اليهود أن يجزي لهم الماء فيخرج من المسجد لدورهم بعد حفر أبيار بصحبته مقدار خمسة قواديس أو ما يقرب منها، فهل يجوز هذا أو يحفر في الصحن المذكور أم لا؟ والمسجد ضعيف، واشترط الناظر عليهم إصلاحه وردّه أحسن ما كان، وإن اختنق واحتاج إلى إصلاح فعليهم بالحفر المذكور بمقربة من الحائط ولا داخل المسجد." فأجاب: "وأما استئجار الماء المذكور بشروط، ألاّ يكون على حيطان المسجد

[53]. دوفردان، **تاريخ مراكش**، 45-46.

ضرر من إجرائه بالموضع المذكور، وقد تسري نداوته حالا واستقبالا إليها. وأن يكون ذلك في فضلة يستغنى عنها المسجد حالا واستقبالا كالفيض المستغنى عنه. وأن تكون تلك الفضلة الرفضات التي تحتهم هنالك أو نتن الأقذار. وأن يكون القَدْر الذي لا يستأجر معلوما قدره مقدرا بالقادوس الفخذي أو القصْبي أو غيرهما بحيث لا يزيد ولا ينقص، وأمّا إن كان ينقص تارة ويزيد أخرى بكثرة المتوضئين والمغتسلين وقلتهم فلا يجوز استيجاره."[54]

ويفهم من هذا النص أنّ مرور القواديس من مكان إلى آخر يتطلّب الالتزام بالقوانين التي تمنع الإضرار بالغير. وتؤكد نوازل أخرى أنّ إدخال الماء إلى المنازل بواسطة القواديس يجب أن تسبقه إجراءات رسمية، منها تثبيت أرباب البصر بعدم الإضرار بأيّ شخص في جواز مرور القادوس بالشارع.[55] كما كان بيع أو استئجار الماء يتم عبر قواديس محددة مسبقًا، وقد منع بعض الفقهاء شراء أملاك لم تحدّد مقاييس مياهها من قبل،[56] وهو ما يمثّل تقديرا كميا للمياه المستعملة في هذه العمليات الاقتصادية، حيث ذكرت النازلة أنواعًا من القواديس منها القادوس الفخذي والقصبي.

وفي هذا الصدد، كان الخزفيون في فاس يطلقون أسماء مختلفة على الأنابيب المصنوعة من الخزف وفقًا لقطرها (جدول رقم 2)، من بينها:

اسم القادوس	قطر القادوس
البوحرز	45 سم
المدبدب	30 سم
الـفـريـــخ	15 سم
الـــــفـــخـــذي	10 سم
الفخذي المغزول	7 سم
الزنيبري	5 سم[57]

الجدول 2: أسماء القواديس الخزفية المستخدمة بمدينة فاس

نستخلص من الجدول أعلاه أنّ تنوّع قطر القواديس يتراوح ما بين 0,05 متر و0,45 متر، وهذا التدرّج يرجع بالأساس إلى تنوّع واختلاف الأملاك المائية وذلك باختلاف قدرات الممتلكين، ونوعية المؤسّسة المستفيدة من الماء. وقد اهتمّ الفقهاء بدراسة أسماء هذه القواديس، ونذكر مثالا على ذلك: "القاضي أبو القاسم بن أحمد المعروف بالغول، الفشتالي من فشتالة غمارة، كان رحمه الله مشاركا في الفنون (...) له شرح الأبيات المشهورة في كيفية قسم الماء لقواديس الديار وهو شرح لطيف جدا وغير ذلك."[58] كما أنّ هذا التدرّج في أحجام

---

[54]. أحمد بن يحيى الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وآخرون (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1981)، ج. 7، 53.

[55]. الوزاني، **النوازل الجديدة**، 8: 265.

[56]. الونشريسي، **المعيار المعرب**، ج. 6، 68.

[57]. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès."

[58]. محمد الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق عبد المجيد خيالي (الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي، 2004)، 248. كما ترجم لهذا الفقيه القادري وكتب عنه: "الفقيه القاضي العلامة سيدي أبو القاسم الغول الفشتالي، ولّي قضاء بلده، وأخذ عنه جماعة من الأمة، مثل

القواديس يلعب دورا مهمّا في إعطاء قوّة دافعة للمياه تمكنها من الوصول إلى درجات مهمّة من الارتفاع، وهو ما يسمح بتفادي العوائق الطبيعية التي يمكن أن تعرقل مسير الماء، كما أنّ هذه الطاقة المائية يمكن استعمالها في رفع الماء ارتفاعا لا بأس به بالنسبة للبيوت والسقّايات العمومية والنافورات الموجودة في دور الأثرياء.

تكون القواديس مغطّاة تحت الأرض، وتنقسم عند أهل الخبرة إلى أنثى وذكر، وللجمع بين مفاصل كل قطعتين من القواديس يتم استعمال مادة لاصقة تسمى "اللصاقة،"[59] وهي عجين تقليدي يتشكل من الجير وزيت الزيتون وقطع من الكَتّان، ويتم خلط المكوّنات الثلاث بإضافة الماء وعجن الخليط من قبل القوادسي لمدّة ساعة كاملة. وعلى ما يبدو فإنّ القوادسي كان مضطرّا لمعرفة كيفية تهيئة وإنجاز القواديس، إذ من المستبعد إقدامه على تركيبها دونما سابق معرفة بكيفيّة صنعها وأنواعها، بل وكيفيّة معالجة الأضرار التي قد تلحق بها من جرّاء الانتقال من مصانع الخزف إلى أماكن التركيب.

واستنادا إلى إشارة ابن خلدون السالفة الذكر، فإنّ القوادسي كالبنّاء يجب عليه معرفة كيفية تسرب المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت والحيطان.[60] كما أنّ القوادسي ملزم بمعرفة مقدار الميلان الواجب إتّباعه في بناء القناة لضمان وصول الماء إلى المرافق المراد توصيلها بالماء أو صرفه عنها. كما يجب عليه معرفة كيفية بناء القنوات كما حث على ذلك ابن الرّامي في فصل خصّصه لذلك بعنوان: "الكلام في بناء قناة في الشارع بين أرباب الدور وكيف يكون الغرم فيها."[61] وقد ينشأ عن عدم ضبط مهارات بناء القنوات أن يتعذّر شرب مائها كما ورد في نص النازلة المرفوعة إلى الشيخ المسناوي السالفة الذكر،[62] الأمر الذي كان يفرض على ما يبدو تدخّل الناظر بالنسبة للأملاك المحبّسة، كما وقع في شأن قادوس ماء الوادي بمكناس على عهد المولى إسماعيل. فقد ورد في حوّالة حبسية عبارة عن رسم الزيادة في أعداد أشكال الماء المحبّس بعد إحداث إصلاح في قادوس الماء، شهادة العارفين بقدر المياه وما في مجاريها من الصلاح والسداد من القنويين بالحاضرة الإسماعيلية بـ "أن القادوس الذي كان بين معدة الوادي الذي ظهر المحكمة المتصلة بالجامع الأعظم من جهته الغربية، والمعدة التي بقبة السوق كان قادوسا ثلثيا، وكان في ضيق وأنه كانت ضيقه وترتبه ردعة في الماء ورجوعه له من الماء حيث جاء حتى كان الامتلاء يصل للتنفيسة التي بباب العلوج ويمر منها للوادي. وأن القادوس المحدث بين المعدتين المذكورتين بداخل الجامع بقرب تاريخه على يد الناظر السيد عبد الرحمان أمجاج فيه ثلثان من القادوس الكبير، وأنه ارتفع

الإمام سيدي محمد بن سعيد المرغيثي وسيدي أحمد بن قاسم بن رحمون الشريف العلمي وسيدي أبي القاسم الجباري،" محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق (الرباط: مكتبة الطالب، 1982)، ج. 2، 49.

[59]. Madani, "L'eau dans le monde musulman médiéval," 359.

[60]. ابن خلدون، **المقدمة**، 177.

[61]. ابن الرامي، **الإعلان بأحكام البنيان**، 373.

[62]. الوزاني، **النوازل الجديدة**، ج. 8، 237-238.

بسعته وحسن صنعته ما كان من الضرر فيه بتلك الردعة."[63] ويستشفّ من الوثيقة تدخّل ناظر المسجد الأعظم بمكناس على عهد المولى إسماعيل لتوسعة القادوس لإزالة الضرر المترتّب عن ضيقه.

يشير الباحث روجي لوتورنو، إلى أنّ نظام المياه بفاس المرينية كان يشرف عليه نوعان من التقنيين، وهم، حسب وصفه، "عمال مهرة كان باستطاعتهم الاهتداء إلى أي عطل غير منتظر وإصلاحه مع القيام بكل ذلك بسرعة متناهية، وخبراء في حقوق المياه يعرفون عادات فاس."[64] وعليه فقد كان يلقى على عاتق القوادسي أحيانًا إصلاح القنوات وتنقيتها، غير أنّه ينبغي في هذا السياق التمييز بين حرفتين تكمّلان عمل القوادسي وهما الكنافَة، السابق ذكرها،[65] والمهنة التي يمارسها الفَلّاسة، وهم محترفو البحث عن الأشياء الضائعة في مياه الوادي أو القنوات، والتي قد تتسبّب في خنق القواديس أو تعطيل الناعورة. وكانوا يتولّون مهمة جمع هذه الموجودات وبيعها فيما بعد.[66]

2.3. أدوات عمل القوادسي

نظرا لارتباط حرفة القوادسي بعدد من الحرف الأخرى (الفخّارون ـ البنّاؤون ـ الكنّافون وغيرهم)، فقد تعددت الأدوات التي يحتاج إليها هذا الحرفي، وعلى الرغم من بساطتها فإنها تفي بالغرض المطلوب، ومنها:

• **القصبة الرومية:** يعرف القصب بقابليته للالتواء، لذلك وظّفه القوادسي في عمليات تسريح الاختناقات وإزالة الشوائب والنفايات والأتربة المتوحّلة التي تعرقل انسياب الماء في القنوات والقواديس، وتيسير مروره إلى نقط الاستعمال والاستهلاك.

• **الحبل:** وهو حبل غليظ تتوسّطه عقد على شكل كفّ مجموع تربط بمقدّمة القصبة، ويتم إدخالها إلى القناة أو القادوس وإخراجها منه، ليقوم المعلّم القوادسي بمساعدة الصبي المتعلّم بعد أن يشدّ كلّ واحد منهما بأحد أطرافها بتحريكها بشكل دائري بغية تحريك الأوحال وخلطها بالماء ليصبح قابلا للتدفّق بسلاسة في القادوس. وقد تستعمل سلسلة من حديد لإزالة الترسّبات.[67]

---

[63]. رقية بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082-1139هـ/ 1672-1727م** (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1993)، 565.

[64]. لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، 73.

[65]. حصل أحيانًا خلط بين القوادسي والكنّاف، رغم أن الأوّل يتولى مهمة جلب المياه وتوزيعها، بينما ينحصر عمل الثاني في تصريفها بعد الاستعمال. ويؤكد ذلك مثل فاسي أورده بروسبير ريكارد يفتخر فيه الفاسيون بكونهم ليسوا مثل المراكشيين الذين يتركون في بيوتهم حفراً تُرمى فيها الفضلات لسنوات طويلة قد تصل إلى ثلاثين أو أربعين سنة دون أن تُفرغ. ويعضد هذا التمييز ما أورده ماسينيون، حيث يظهر أن سجل إحصاء أرباب التجارة والحناطي والحرف بمراكش للمحتسب عبد الرحمن متوكل يخلو من أي إشارة إلى حرفة الكنافة أو ما يرمز إليها، وهو ما يدل على غيابها في مدينة مراكش، ويؤكد أيضًا الفارق بين القوادسية والكنافة.

Prosper Ricard, "Les métiers manuels à Fès, un plan des canalisations de Fès," *Hespéris* IV-2 (1924): 223.

[66]. Madani, "L'eau dans le monde musulman médiéval," 359.

[67]. خالد الرامي، **النظام الأصيل لتوزيع الماء بمدينة تطوان 1862-1913 م** (تطوان: منشورات جمعية تطاون أسمير، 2008)، 177.

• **المغرفة:** هي عبارة عن ملعقة حديدية بحجم كفّي اليدين مثبّتة بقضيب حديدي يتراوح طوله بين المتر والمترين والنصف، وتستعمل لغرف الأوحال من البالوعات.

• **القضبان والأسلاك المعدنية:** وهي فولاذية تتميّز بالصلابة والفاعلية، ومن سلبياتها عند عدم الاحتراز إحداث ثقوب في القادوس.

• **الدلو:** وكانت عبارة عن سلال من الدوم تحوّلت إلى دلاء مطاطية تحديدا، يوظّفها القوادسي في تنظيف المهاريز والكنف.

• **الفأس**: وهي أداة حديدية للحفر ذات يد ملساء وسنّ عريضة.

• **الملاّسة**: وهي أداة تسوّى بها الأرض وتملّس.

• **المنقاش:** وهو عبارة عن ملقاط تستخرج به الأشياء الصغيرة والدقيقة.

4. القوادسي: الأبعاد الاجتماعية

يظهر أنّ القوادسي قد حظي، شأنه شأن غيره من الحرفيين، بمكانة اجتماعية داخل بنية المجتمع المغربي. ويبدو أنّ هذه المكانة تتباين بحسب الحاجة إلى هذا الحرفي من منطقة إلى أخرى، إذ تكثر الإشارات التاريخية الخاصة به في مجال المدن كفاس مثلاً، في حين تكاد تنعدم في مجتمعات الواحات، بالرغم مما يقال بأنّ أصول المشتغلين بهذه الحرفة ترجع إلى هذه المناطق.

1.4. التنظيم الحرفي

لعبت حرفةُ القوادسية دورًا حيويًّا في توزيع المياه بعدد من المدن المغربية، وقد سمح لها ذلك بتشكيل مجموعات مهنية في شكل حنطة، كما هو الحال في مدينة فاس.[68] ويذكر الباحث لوتورنو أنّ خبراء القني بفاس جماعة منظّمة تعمل على تنظيم عمل شبكة المجاري المائية، وهو ما جعل منهم أداة أساسية في تدبير الشأن المائي بالمدينة.[69]

لقد كان القنويّون بفاس يؤسّسون حنطةً خاصّة بهم، تعمل على تنظيم المشتغلين بأعمال تركيب وترميم وتنظيف القنوات، إذ إنّ حرفة القوادسية كانت تنتظم وفق تراتبية قوامها: الأمين، والمعلمين، والمتعلمين، ثم الخَدّامة.

• **الأمين**: هو الرئيس النظري لحنطة القوّادسيّة، والمكلّف بمهمة استقبال طلبات العمل، كما أنّه ممثّل أعضاء الحنطة لدى السلطات. ويجب هنا التمييز بين أمين الماء الحُلو، أي أمين الماء الصالح للشرب، وأمين الماء المضاف أو ما يُصطلح عليه "بوخرارب." كما يُعتبر

---

[68]. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès," 52.

[69]. يذكر لوتورنو بأن من أطلق عليهم اسم "المهندسين وزعوا مياه وادي فاس من فوق وقبل أن يدخل المدينة إلى عدد من القني التي يسّرت للمياه أن تصل إلى كلّ حي من أحياء المدينة تقريبا، بل حتى إلى كل منزل من منازل المدينة القديمة." أنظر: روجي لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، 48. ومن هنا تبرز أهمية وجود جهاز منظّم من العاملين على تدبير شؤون هذه الشبكة المائية، يكون القنواتيون أحد أبرز مكوّناتها.

الأمين المكلّف بالبتّ في الخلافات التي تنشأ بين المعلّمين والزبائن، أو فيما بين أعضاء الحنطة أنفسهم. وتُستفاد من خبرته في الميدان ضمن "أرباب البصر،" كما يتدخّل في توزيع العمل على المعلّمين في "الموقف." ويبدو أنّ هذا المنصب كان يتوارث، كما هو الحال بالنسبة لأحمد بن محمد الزرهوني الريفي الذي خلَف أباه بعد وفاة هذا الأخير.[70]

• **المعلّم:** يأتي في الدرجة الثانية بعد الأمين ضمن الترتيب الهرمي لحنطة القوّادسيّة، ويتم ترقيته من بين الصنّاع. وكان يشتغل تحت إمرته متعلّم واحد وخدّامان.[71]

• **المتعلّم:** وهو المبتدئ في تلقّي أصول الحرفة من طرف المعلّم، وتأتي فئتهم في المركز الثالث في الحنطة، ويتم تسجيلهم ضمن لائحة لدى الأمين.

• **الخَدّامة:** لم ترد عنهم معلومات وافية، غير أنّهم ـ على ما يبدو ـ الفئة الأقل مرتبة ضمن أعضاء الحنطة، ويتمّ تسخيرهم في الأشغال الثانوية.

ولم يكن الانضمام إلى حنطة القوادسية يخضع لعرف معيّن ينظّم عملية الولوج إلى الحرفة. وللارتقاء ضمن الدرجات الأربع لأعضاء الحنطة،[72] يكفَي أن يكون الصانع ملحوظًا من طرف معلّمه، وعلى هذا الأخير أن يقوم بتسجيله في لائحة خاصّة لدى الأمين. كما لم يكن الانضمام إلى الحنطة يتطلّب القيام بأي تقليد أو طقوس معيّنة كما هو الحال في كثير من الحنطات الأخرى، وذلك بسبب الفقر الذي كان السمة الغالبة على أغلب أعضاء هذه الحنطة، وضعف الأجرة التي كانوا يتقاضونها.[73]

2.4. الأجرة والمكانة الاجتماعية

على الرغم من الدور الكبير للقوادسية في توزيع وصرف المياه، فإن الأجرة التي كانوا يتقاضونها مقابل خدمتهم لم تكن تسمح لهم باحتلال مكانة هامة ضمن النسيج الاجتماعي. بيد أنّ هذا الوضع على ما يبدو لم يكن يشمل جميع المشتغلين بهذه الحرفة إذ يختلف من منطقة إلى أخرى، بل وداخل المجال نفسه. وقد ورد في **المنزع اللطيف** لابن زيدان أنّ أجرة المعلّم القوادسي الذي تكلّف على عهد المولى إسماعيل بجلب الماء من عين البيضاء بمكناس إلى المسجد الأعظم، كانت هي 300 أوقية مقابل خدمة عشرة أشهر.[74]

وذكر علّوش بأنّ أمين القوادسية أحمد بن محمد الزرهوني كان يتقاضى 600 فرنك عن مهمة الإشراف على توزيع المياه بالقصر السلطاني، إضافة إلى 10 فرنكات عن تنقّلاته وخبراته. في حين يتقاضى المعلّم القوادسي حسب نفس الباحث 30 فرنكا، والمتعلّم 10 فرنكات، والخدّام 4 فرنكات. ومن المحتمل أن يكون القوادسية يتقاضون مرتّبات ثابتة من الأوقاف، وفي

---

70. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès," 53.
71. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès," 53.
72 . يقصد بذلك المراتب التي يقطعها القوادسي في مساره المهني، بدءا بمرحلة الخدّام، ثم المتعلّم، فـالمعلّم، وصولًا إلى مرتبة الأمين في نهاية المسار.
73. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès," 52.
74. عبد الرحمن بن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي (الدار البيضاء: مطبعة إديال، 1993)، 312.

حال قيامهم بإصلاح قني أو ما إلى ذلك فإنهم كانوا يتقاضون أجرًا على ذلك من الذين يستفيدون من خدماتهم سواء أكان هؤلاء أفرادًا أم مؤسسات دينية.[75] وكان القوادسية، حسب علّوش دائما، مضطرّين للتوجّه صبيحة كلّ يوم إلى أحد الموقفين الكائنين بفاس بكل من حي الكتّانين وحي الشرابليين في انتظار من يأتي طلبا لخدماتهم.

وقد عاش القوادسية على ما يبدو في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة، وهو ما كانت تعكسه وضعية حنطتهم، إذ لم يكن باستطاعتهم، بفاس مثلا، القيام بالطقوس والاحتفالات التي كانت تميز عددا من الطوائف الحرفية الأخرى وتتوج مسلسل الارتقاء داخل الحرفة.[76] غير أن هذه الوضعية وآثارها لم يكن لها نفس الوقع على كافة المشتغلين بهذه الحرفة وذلك حسب الترتيب الهرمي لكل عضو من أعضاء الحنطة، إذ تشتدّ عند الخدّامة كأدنى مراتب الحنطة وتنتفي عند الأمين نفيا حين يرتهن وضع المعلمين والمتعلمين بمدى الحاجة إلى خدماتهم.

3.4. القوادسية والسلطة

يشكل انتظام القوادسية ضمن حنطة خاصة، وتعيين أمين يبتّ في المشاكل التي قد تنشأ بين أهل الحرفة والزبناء من جهة، وبين أعضاء الحنطة فيما بينهم من جهة أخرى، إحدى الدلائل على مساهمة هؤلاء في تدبير الشؤون العامة داخل المدينة المغربية. وقد كان الأمين يقدّم المشورة للقاضي أو الباشا في حالة النزاع بين المعلمين والمتعلمين.[77]

وقد شارك القوادسية ضمن أرباب البصر وأهل المعرفة في البتّ بالمنازعات المائية، وهو دور سياسي ضمن لجان السلطة للفصل في مشاكل توزيع المياه، بالاستعانة بخبرة الحرفيين.[78] ويظهر ذلك في الوثيقة العدلية لعهد المولى إسماعيل السالف ذكرها، وفي إحدى الحوالات الحبسية بمكناس، التي تصف أرباب البصر من القنويين بالمدينة. هذا مقتطف من نصها:

> "الحمد لله شهد له بهذا الرسم من أهل المعرفة و كمال البصيرة و أشياخ صناعاتهم وإليهم يرجع الآن في مثل ما شهدوا فيه لهذه الحضرة العلية بالله سبحانه والحضرة الفاسية، أمّن الله الجميع من فضله من أمور الأبنية ومجاري المياه المجلوبة ومعرفة ما يفتقر منها إلى الإصلاح المتأكد والمستغني (...) سئل منهم الوقوف على عين القادوس الكبير المجلوب فيه الماء لهذه الحضرة السعيدة من عين تاكمة إلى داخل المدينة (...) كل ذلك في علمهم وأدّوا شهادتهم المسؤولة منهم وهم بحيث ما ذكر عنهم وبالوصف المقرّر لهم في شهر القعدة الحرام سنة عشر مائة وألف المعلّم أحمد

---

[75]. لوتورنو، **فاس في عهد المرينيين**، 73.

[76]. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès," 52.

[77]. Allouche, "Un plan des canalisations de Fès," 53.

[78]. في خضم النزاعات بشأن الماء بفاس مثلا، ترفع قضايا المنازعات حوله إلى المخزن؛ انظر: روجي لوتورنو، **فاس قبل الحماية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر غزال (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ج.1، 347.

المعاشقي القنوي الفاسي، المعلّم علي بن أحمد الدرعي القنوي الفاسي، المعلم عبد الله العلج القنوي أيضا المعلّم عبد الرحمن العلج القنوي."[79]

وحسب وثيقة أوردتها الباحثة مينة لمغاري حول إصلاح قناة المزودي سنة 1284هـ/ 1867م، وُعِدَ المعلم القوادسي الحاج عبد السلام الصويري المعروف بـ "بارودان" بأن تكون له الحظوة عنَد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وبالأجر الوفير إذا ما قام بإنجاز عمله على أحسن وجه.[80] ويتبيّن من خلال هذه الإشارة جانب آخر من علاقة القوادسية بالسلطة إذ كان إقدامهم على إنجاز بعض الأشغال المرتبطة بالمخزن وسيلة تقرّبهم من أصحاب القرار والنفوذ.

خاتمة

على الرغم من التطوّر التكنولوجي الحديث، ما تزال بعض المدن المغربية تحتفظ ببقايا هذا النظام التقليدي، لا سيما في المدن العتيقة مثل فاس ومراكش ومكناس. ومع ذلك، تواجه حرفة القوادسي تحديات كبيرة، أبرزها ندرة الحرفيين المهرة وتراجع الاعتماد على الأساليب التقليدية لصالح التقنيات الحديثة. فقد شهد المغرب في عهد الحماية مجموعة من التحولات الاجتماعية والتقنية، حيث عملت السلطات الفرنسية على زلزلة البنيات التقليدية التي كان يقوم عليها المجتمع قبل الاستعمار، مما ساهم في تراجع هذه الحرف الأصيلة التي شكلت ركائز أساسية للاقتصاد المغربي.

لم تستطع حرفة القوادسي الصمود أمام التطوّر التقني والعلمي، إذ لم يعد أسلوب عمل القوادسي التقليدي يستجيب لمتطلبات المرحلة الحديثة، والتي باتت تستدعي اللجوء إلى تقنيات وأساليب متقدمة تتجاوز الأدوات البسيطة التي كان يوظّفها. وعليه، أصبح من الضروري الاعتماد على أشخاص مهرة يتلقّون تكوينا علميا وأكاديميا ويستخدمون تقنيات حديثة لضمان إيصال المياه بشكل فعّال. في هذا السياق، شرعت سلطات الحماية في تزويد المدن بالماء الصالح للشرب عبر تفويض أعمال جرّ وتوزيع المياه لشركات خاصّة، واعتمدت على قنوات إسمنتية وحديدية بدل القواديس الفخارية، وهو ما انعكس مباشرة على استمرار حرفة القوادسي التقليدية.

---

[79]. حوالة الأحباس الكبرى، رقم 5، 150، نقلا عن بلمقدم، **أوقاف مكناس**، 575.

[80]. مينة المغاري، **موكادور-السويرة: دراسة تاريخية وأثرية** (الرباط: دار النشر أبي رقراق، 2006)، 344-345. وهذا هو النص الكامل لهذه الرسالة: "محبنا وخديمنا سيدنا الطالب السيد الحاج عبد السلام الصويري، سلام الله عليك ورحمة الله على خير سيدنا نصره الله، وبعد: فقد أخبر القائد محمد عبد العزيز أنّ الماء بلغ لدار سيدنا السعيدة ولم يبق إلاّ على مادة عينها ويجر الماء في جميعها وهو إن بلغ فالمعتمد عند مولانا أيّد الله سعادته هي الساقية التي رسمتها على نحو ساقية عين عتيق فيأمرك سيدنا أعزه الله أن تشرع فيها وأن تسير فيها سيرا حسنا. وأما هذه التي وصل ماؤها فإنّهما جعلها سيدنا أيده الله لقضاء الحاجة حتى يكمل العمل في هذه ويحصل الغرض بها. فقف على ساق الجد في أمرها حتى تصل وتكون أحسن ما يكون، وما علمكم سيدنا هذا العلم إلاّ ليضاف له العمل ولا فائدة لعلم بلا عمل. على أننا نرى من لم يتقدم له علم من الفلاحين يحدث السواقي ويمر بها للمحال التي لا يظن وصول الماء إليها فيوصله له أحسن ما يكون. فابذل مجهودك وأظهر علمك وعملك لتزداد بذلك حظوة عند سيدنا أيده الله وتأخذ بحظ وافر من أجرها الذي لا ينقطع مع طول الزمان، والله يعينك ويأخذ بيدك ويسدد رأيك وعلى المحبة والسلام،" في 6 حجة عام 1284، الإمضاء: موسى بن أحمد."

يرتبط عمل القوادسي بمجموعة من الحرف الأخرى، مثل الفخار والبناء، إضافة إلى تعدّد وظائفه، مما يجعل من الصعب تحديد ماهية القوادسي اليوم. فهل يمكن اعتبار الرّصّاص امتدادا للقوادسي نتيجة التحول التقني من القواديس الفخارية إلى الأنابيب الحديدية والبلاستيكية؟ وبذلك يتحوّل دور القوادسي من مختصّ بتركيب وإصلاح القواديس إلى رصّاص يستخدم آلات حديثة لتوصيل المياه إلى المنازل والمرافق العامة، أو يقتصر على إصلاح أنابيب المنازل. من جهة أخرى، هل أصبح القوادسي الحالي مرتبطا بتنظيف وتنقية القواديس، متداخلا بذلك مع عمل الكنّاف الذي غالبا ما ينظر المجتمع إليه بازدراء لارتباط عمله بالنجاسة؟

لقد لعبت حرفة القوادسي دورا محوريا في المجتمع المغربي، سواء في تزويد المدن بالماء الصالح للشرب أو تصريف المياه المستعملة. فقد أشار أحد الحرفيين بمراكش إلى أنّ الحرف كانت تتوزع قديما حسب الأحياء؛ فالمشتغلون بالجبس كانوا في حي باب أيلان، والقوادسية في باب الرّب. وكان القوادسي مرتبطا ارتباطا وثيقا بالخزفي الذي يصنع القواديس، وبالقرامدي الذي يقوم بتركيبها وفق ترتيب محدد. كما تتطلب الحرفة مهارات دقيقة في الميلان والإصلاح ومعرفة أنواع القواديس، التي يُطلق عليها أحيانا القرمود أو السلوقية. وكانت هذه القنوات تزوّد المساجد والسقّايات والرياضات ومساكن عليّة القوم بالماء، في حين كانت منازل العامّة تعتمد غالبا على آبار خاصة أو السقّايات. وكان دور الكُرّاب يتمثّل في إيصال مياه ساقية العبّاسية لمنازل المدينة، حيث كان الماء باردا ومطلوبا صيفا.

أما اليوم، فقد حلّ محلّ القوادسي عدد من الحرفيين العاملين في تركيب شبكات المياه، مثل الرّصّاصة والمختصين بتقنيات الصرف الحديثة، وتباينت مكانتهم الاجتماعية تبعًا لحاجات السكان. غير أنّ غياب الاهتمام بالموروث التقليدي المرتبط بالقوادسية عجّل بتراجع هذه الحرفة، ودفع العاملين في مجال إيصال المياه إلى تنويع مهاراتهم لضمان موارد عيش أكثر استقرارًا. وهكذا انقطع تواتر الممارسة التقليدية، ليتجه الحرفيون نحو أعمالٍ أخرى تتماشى مع مقتضيات العصر.

ويستخلص مما سبق أنّ القوادسي، أو "شيخ الماء الحلو" لم يكن مجرد فاعل تقني، بل شكل ضامنا لاستمرارية توزيع المياه داخل الفضاء الحضري. وتبرز هذه الحرفة جانب الإبداع المغربي في ابتكار حلول محلية لتنظيم الموارد المائية واستدامتها، إذ كان القادوس أداة رئيسية ضمن منظومة دقيقة، يعتمد القوادسي في تشغيلها وصيانتها على رصيد معرفي ومهارات تراكمت عبر الأجيال، ما أهّله ليكون فاعلا متميزا ضمن النسيج الحرفي والاجتماعي للمدينة. كما تشير المعطيات التاريخية إلى أنّ الحرفة لم تكن معزولة، بل كانت منفتحة على التحوّلات التقنية ومتداخلة مع سلطة المدينة، وهو ما منحها مكانة تنظيمية واجتماعية معتبرة. وعلى الرغم من التراجع الملحوظ نتيجة تغير أنماط العيش، فإنّ حرفة القوادسي تشكل حتى الان رصيدا حيا من الذاكرة التقنية والعمرانية، حاضنة لتصورات تاريخية حول تدبير الماء في المدينة الإسلامية. واستحضار هذه الحرفة اليوم يمثّل مدخلا لفهم أنماط التنظيم المائي التقليدي، ويفتح المجال للتفكير في آليات صون هذا الموروث في ظل التحولات البيئية والمجالية الراهنة. ومن

ثم، فإن إدراجها ضمن السياسات العمومية المعنية بحماية التراث المادي واللامادي، وتوثيق عناصرها ومكوناتها، يشكل خطوة أساسية لإعادة الاعتبار لهذا المكوّن من الهويّة الحضرية المغربية وحماية ذاكرة الماء.

البيبليوغرافيا

Ait Oumghar, Samir. *Al-Māʾ wa-al-Madīna bi Shamāl Ifrīqiyā fī al-ʿahd al-Rūmānī*. Al-Ribāṭ: al-Jāmiʿa al-Duwaliyya li al-Ribāṭ wa Akādīmiyyat al-Mamlaka al-Maghribiyya, 2023.

Al-ʿAlamī, ʿĪsā. *Kitāb al-Nawāzil*. Taḥqīq al-Majlis al-ʿIlmī bi Fās. Al-Ribāṭ: *Wizārat al-*Awqāf wa al-Shu'ūn al-islāmiyya, 1986.

Allouche, I. S. "Un plan des canalisations de Fès au temps de Mawlay Ismail d'après un texte inédit." *Hespéris* XVIII-1 (1934): 49-63.

Al. ʿAnīsī al-Ḥalabī, Ṭūbiyā. *Tafsīr al-Alfāẓ al-Dakhīla fī al-Lugha al-ʿarabiyya maʿa dhikr aṣlihā bi al-Ḥurūfihi*. Ṣaḥḥaḥahu wa-ʿallaqa ʿalayh Yūsuf Tūmā al-Bustānī. Al-Qāhira: Maktabat al-ʿArab, 1932.

Al-Bakrī, Abū ʿUbayd Allāh. *Al-Masālik wa al-Mamālik*. Taḥqīq Jamāl Ṭulba. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiya, 2008.

Balmqaddam, Ruqayya. *Awqāf Maknās fī ʿahd Mawlāy Ismāʿīl* (*1082-1139/1672-1727*). Al-Ribāṭ: Wizārat al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-islāmiyya,1993.

Belfaida, Abdelaziz. "al-Māʾ bayna al-muqaddas wa-l-manfaʿa al-ʿāmma bi-Shamāl Ifrīqiyā qabl al-fatra al-islāmiyya min khilāl al-Naqāʾish." In *al-Māʾ fī tārīkh al-Maghrib:* aʿmāl nadwa ḥawla ayyām 10-11-12 Dujanbir 1999 bi-Kulliyat al-Ādāb wa-l-ʿUlūm al-Insāniyya ʿAyn al-Shaq: 33-46. Al-Dār al-Bayḍāʾ: Kulliyat al-Ādāb wa-l-ʿUlūm al-Insāniyya ʿAyn al-Shaq, 1999.

Corbier, Mireille. "La famille de Séjan à *Volsinii*: la dédicace des *Seii, curatores aquae.*" *Mélanges de l'École française de Rome. Antiquités* 95-2 (1983): 716-756.

Deverdun, Gaston. *Tārīkh Murrākush min al-Taʾsīs ilā al-Ḥimāya (1912)*. Tarjamt Muḥammad al-Zakrāwī and Khālid al-Maʿzūzī. Al-Ribāṭ: Wizārat al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyya, 2012.

Dozy, Reinhart. *Supplément aux dictionnaires arabes*. Leyde: E. J. Brill, 1881.

El Mghari, Mina. *Madinat Mogador-al-Sawira*. Al-Ribāṭ: Éditions Bouregreg, 2006.

Al-Fayrūz Abādī, Muḥammad. *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ*. Murājaʿat Anas al-Shāmī wa Zakariyyā Jābir Aḥmad. Al-Qāhira: Dār al-Hadīth, 2008.

Golvin, Jean-Claude. *L'urbanisme et l'architecture dans le monde romain*. Paris: Errance, 2000.

Hodge, A. Trevor. *Roman Aqueducts and Water Supply*. London: Duckworth, 2002.

Ibn Barrī, ʿAbd Allāh. *Ghalaṭ al-ḍuʿafāʾ mina al-fuqahāʾ*. Taḥqīq Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin. Bayrūth: ʿAlam al-Kutub, 1987.

Ibn al-Imām At-Tuṭayli, 'Īsā ibn Mūsa. Al-*Qaḍāʾ bi al-marfiq fī al-mabāni wa nafyi al-Ḍarar*. Taḥqīq Farīd b. Slimān. Tūnas: Markaz al-nashr al-jami'ī, 2003.

Ibn Jubayr, Muḥammad. *Riḥlat Ibn Jubayr*. Bayrūt: Dār al-Thaqāfa, 1964.

Ibn Manẓūr, Muḥammad. *Lisān al-ʿArab*. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1993.

Ibn Khaldūn, ʿAbd al-Raḥmān. *Muqaddimat Ibn Khaldūn*. Bayrūth: Taḥqīq Khalil Shatada. Bayrūt: Dār al-fikr, 2001.

Ibn al-Rāmī al-Bannā', Muḥammad. *Al-Iʿlān bi Aḥkām al-Bunyān*. Taḥqīq Farīd Sulaymān. Tūnas: Markaz al-nashr al-jāmiʿī, 1999.

Ibn Zaydān, ʿAbd al-Raḥmān. *Al-Manzaʿ al-Laṭīf fī mafākhir al-Mawlā Ismāʿīl Ibn al-Sharīf*. Taḥqīq ʿAbd al-Hādī al-Tāzī. Al-Dār al-Bayḍāʾ: Maṭbaʿat Idīyāl, 1993.

Al-Ifrānī, Muḥammad b. al-Ḥāj al-Ṣaghīr. *Ṣafwat man intashar min Ṣulaḥāʾ al-qarn al-ḥādī ʿashar*. Taḥqīq ʿAbd al-Majīd Ḥayyālī. Dār al-Bayḍā': Markaz al-turāth al-thaqāfī, 2004.

Laporte, Jean-Pierre. "Les camps militaires de Lambaesis." *Antiquités africaines* 14 (1980): 25-38.

Le Bohec, Yann. *L'armée romaine en Afrique*. Paris: Éditions du CNRS, 1989.

Le Glay, Marcel. *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Aurès sous les Flaviens*. Paris: CNRS, 1966.

Le Tourneau, Roger. *Fās fī ʿaṣr Banī Marīn*. Tarjamat Niqūlā Ziyāda. Bayrūt: Maktabat Lubnān, 1967.

———. *Fās Qabl al-Ḥimāya*. Taḥqīq Muḥammad Ḥajjī wa Muḥammad Lakhḍar Ghazāl. Bayrūt: Dār al-Gharb al-islāmī, 1995.

Madani, Tariq. "L'eau dans le monde musulman médiéval*:* L'exemple de Fès (Maroc) et de sa région." Thèse de doctorat en Archéologie sous la direction de André Bazzana. Lyon: Université Lyon 2, 2003.

Majmūʿa mina al-muʾallifīn. *Al-Muʿjam al-Wasīṭ*. Al-Qāhira: Majmaʿ al-Lugha al-ʿArabiyya, 1976.

Massignon, Louis. "Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc (1923-1924)." *Revue du monde musulman* 58 (1925): 1-246.

Mezzine, Mohammed. "Wathīqa jadīda ḥawla tawzīʿ al-miyāh bi Fās: al-Madīna al-qadīma awākhir al-ʿasr al-marīnī." *Majallat Kulliyat al-ādāb wa-l-ʿulūm al-insāniyya Fās* 2 (1979-1980): 388-402.

Meunié, Djinn Jacques et Henri Terrasse. *Recherches archéologiques à Marrakech*. Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, LXII. Paris: Art & Métiers Graphique, 1952.

Al-Mukhtār al-Sūsī, Muḥammad. *Al-Maʿsūl*. Dār al-Bayḍā': Maṭbaʿat al-najāh al-jadīda, 1960.

Al-Nāṣirī, Aḥmad. *Kitāb al-Istiqṣā li akhbār duwal al-Maghrib al-aqṣā*. Taḥqīq Jaʿfar al-Nāṣirī wa Muḥammad al-Nāṣirī. Al-Dār al-Bayḍāʾ: Dār al-Kitāb, 1954.

Naciri, Mohammed. "L'eau à Fès, miroir social et politique d'une société urbaine." *Critique économique* 7 (2002): 5-29.

Al-Qādirī Ibn al-Ṭayyib, Muḥammad. *Nashr al-mathānī li-ahl al-qarn al-ḥādī ʿashar wa al-thānī*. Taḥqīq Muḥammad Ḥajjī wa Aḥmad al-Tawfīq. Al-Ribāṭ: Maktabat al-Ṭālib, 1982.

Ricard, Prosper. "Les métiers manuels à Fès." *Hespéris* IV-2 (1924): 205-224.

Ramī, Khalid. *al-Niẓām al-aṣīl li tawzīʿ al-māʾ bi-madīnat Ṭiṭwān 1862-1913*. Ṭiṭwān: Jamʿiyyat Ṭiṭwān Asmīr, 2008.

Al-Ṣafadī, Ṣalāḥ al-Dīn. *Taṣḥīḥ al-taṣḥīf wa-taḥrīm al-taḥrīf*. Taḥqīq Sayyid al-Sharqāwī. Al-Qāhira: Maktabat al-Khānji,1987.

Ṣaqqār, Muḥammad Ṣubḥī. "Bayn al-qasṭalayn, manhal al-māʾ wa-ghābat al-kastanāʾ." *Majallat al-Bāḥiṭūn* 64 (2012): 1-2.

Al-Wansharīsī, Aḥmad b. Yaḥyā. *al-Miʿyār al-muʿrib wa-l-jāmiʿ al-mughrib ʿan fatāwā ahl Ifrīqiya wa-l-Andalus wa-l-Maghrib*. Taḥqīq Muḥammad Ḥajji wa akharūn. Al-Ribāṭ: Wizārat al-Awqāf wa al-shu'ūn al-islāmiyya, 1981-1983.

Al-Wazzānī, al-Mahdī. *Al-Nawāzil al-jadīda al-kubrā*. Taḥqīq ʿUmar b. ʿAbbād. Al-Ribāṭ: Wizārat al-Awqāf wa al-shu'ūn al-islāmiyya, 1996.

Al-Zajjālī, ʿUbayd Allāh b. Aḥmad. *Ray al-awām wa-marʿā al-sawām fī nukat al-khawās wa al-ʿawwām*. Taḥqīq Muḥammad Banshrīfa. Fās: Wizārat al-dawla al-mukallafa bi al-chu'ūn al-thaqāfiya wa al-taʿlīm al-aslī, 1971.

Zemama, ʿAbd al-Qādir. "Taqrīr ʿadlī ʿan majārī miyāh Wādī Fās." *Majallat Kulliyat al-ādāb wa-l-ʿulūm al-insāniyya- Fās* 6 (1982-1983): 81-96.

_____. “Wathīqa ḥaḍāriyya ʿan shabakat tawzīʿ al-miyāh fī Fās al-qadīma.” *Majallat al-Manāhil* 32 (1985): 220-230.

Zarwāl, Aḥmad. “Qādūs.” In *Maʿlamat al-Maghrib*, T. 19. ʿAmal al-Jamʿiyya al-Maghribiyya li-l-Taʾlīf wa-l-Tarjama wa-l-Nashr: 6578. Al-Ribāṭ: Dār al-Amān, 1989.

العنوان: القوادسي وذاكرة الماء:
موروث مائي ومعماري في خدمة إعمار المدينة المغربية

ملخص: تمثّل حرفة القوادسي، أو ما عُرف بـ"شيخ الماء الحلو،" إحدى الركائز الحضرية الأساسية في تدبير وتنظيم شبكات المياه بالمدن المغربية التقليدية. فقد اضطلع القوادسي بدور محوريّ في ضمان استمرارية توزيع المياه وصيانتها، مستندا إلى رصيد معرفي ومهارات مهنية متوارثة عبر الأجيال، ما جعل هذه الحرفة جزءا أصيلًا من النسيج الحرفي والاجتماعي. يتناول هذا المقال الأبعاد التنظيمية والتقنية لهذه الحرفة، وصلاتها الوثيقة بالسلطة الحضرية، وهي علاقات أكسبتها مكانة معتبرة داخل البنية العمرانية، على الرغم مما واجهته من تحديات ناجمة عن التحولات التقنية والاجتماعية. كما يسلّط الضوء على القيمة التاريخية والمعمارية لهذا الموروث المائي، داعيا إلى إدماجه ضمن السياسات العمومية الرامية إلى صون التراث المادّي واللأمادي وضمان استدامته في ظل المتغيّرات البيئية والمجالية الراهنة، مع إبراز القوادسي كعنصر محوريّ في ذاكرة الماء والهويّة الثقافية المغربية.

الكلمات المفتاحية: القوادسي، التدبير التقليدي للمياه، التراث العمراني المغربي، الذاكرة المائية، الهويّة الثقافية.

Titre: *“Laqwādsi”* et la mémoire de l’eau: Un patrimoine hydraulique et architectural au service de l’édification de la ville Marocaine

Résumé: Le métier du *qwādsi*, ou ce que l’on appelait le “chaykh de l’eau douce,” constitue l’un des piliers urbains essentiels dans la gestion et l’organisation des réseaux hydriques des villes marocaines traditionnelles. Le *qwādsi* jouait un rôle central en garantissant la continuité de la distribution et de l’entretien de l’eau, s’appuyant sur un savoir-faire et des compétences professionnelles transmis de génération en génération, ce qui a fait de ce métier une composante authentique du tissu artisanal et social.

Cet article aborde les dimensions organisationnelles et techniques de cette profession ainsi que ses liens étroits avec l’autorité urbaine, des relations qui lui ont conféré une place considérable dans la structure architecturale, malgré les défis posés par les transformations techniques et sociales. Il met également en lumière la valeur historique et architecturale de ce patrimoine hydraulique, tout en appelant à son intégration dans les politiques publiques visant à préserver le patrimoine et à en assurer la durabilité face aux mutations environnementales et spatiales actuelles.

Mots-clés: *Laqwādsi*, gestion hydraulique traditionnelle, patrimoine urbain marocain, mémoire de l’eau, identité culturelle.